أصول القرآن في التحذير من المنكرات

الدكتور شافي سلطان العجمي

Abstract

This article discuss all the cancers that are prevailing in our society .The Article Briefely present how to avoid these cancers in the Light of Quran and sunnah.In this article quran say to a man that what are the Basic priniciples to avoid these cancers .

مقدمة في أهمية وأسباب الحديث عنه ومنهج البحث:

كانت قضايا القرآن الكلية وموضوعاته الجزئية تدور حول التوحيد والقصص والأحكام ، لأن التوحيد غاية الطريق ، والقصص تحث علي سلوك الطريق وتحمل تبعاته وتذكر بما جرى على من سلكه ، والأحكام تبين حقوق الطريق وواجباته.

ولما كانت الأحكام تقوم على الفعل والترك جاء القرآن بدعوة الناس للمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وكان منهج القرآن في ذلك متميزا ، فقد أوضح السبل ، وأبان المحجة ، فجاءت الآيات تبين المعروف ، وتزينه للخلق ، وتبين عاقبة فعله ، وتبين المنكر ، وتقبحه للخلق ، وتبين عاقبة فعله .

وكشف هذا المنهج ، وبيان طرقه ، من مقاصد الشرع ، ومحاسن الإسلام ، لكي يقارن الناس بين منهج الحق والباطل في التحذير من فعل المنكر ، ويزداد الذين آمنوا ايمانا .

ومع شدة الحاجة لبيان هذا المنهج إلا أني لم أجد من تناوله في بحث أو رسالة ، فأحببت أن أبينه معتمدا على المنهج الاستقرائي القائم على استقراء جميع المواضع التي حذرت من المنكر ، وأرتبها بما يبرز مضمونها .

وقد اقتضت خطة البحث أن يكون في مقدمة وقد مرت ، وتمهيد ومبحثين : الأول : في بيان منهج القرآن في عيب المنكر وصاحبه ، والمبحث الثاني في عقوبة فاعل المنكر، والخاتمة .

التمهيد : في منهج القرآن في التدرج في التحذير من المنكرات :

فطر الله الخلق على التدرج في حياتهم ، وأودع في عقولهم قبول التدرج ، وجبلهم على الفرار من أخذ كل شيء مرة واحدة ، فجاء القرآن مراعيا ذلك كله ، فتدرج في بيان الحقوق والواجبات ، وبدأ ببيان التوحيد واليوم الآخر في أول الأمر في مكة ، وجاء وصف الجنة والنار ، ونزلت قصص الأنبياء في الأعراف ويونس وهود ويوسف وإبراهيم والشعراء والنمل والقصص والصافات وبقية السور المكية .

ثم جاء غالب الأحكام والحلال والحرام في المدينة ، وكانت الأحكام متدرجة فأول ما فرضت الصلاة ركعتين ، وأول ما فرضت الزكاة فرضت مطلقة بلا تقييد بوقت أو شخص أو مقدار ، وأول ما فرض من الصيام كان على التخيير ، وأول ما فرض من الجهاد كان جهاد الدفع ، وأول ما حرم من الخمر كان عند اقتراب الصلاة .

ومنهج القرآن في التحذير من المنكرات كان ببيان أعظم المنكرات وهو الشرك وبيان خطره وعاقبة أهله ، ثم جاءت الآيات تبين الجنة والنار ، والدار الآخرة ، ثم توالت الآيات المبينة للمنكرات الكبرى كقتل الأولاد من البنات ، والزنا ، والغدر ، ونهر اليتيم والمسكين ، والخيانة، واتباع الهوى ، كما في سورة المعارج ، والنازعات ، والقلم ، والماعون ونحو ذلك .

المبحث الأول : عيب المنكر وصاحبه :

المطلب الأول : عيب المنكر :

1- **ضرب الأمثال المبينة لضعف المنكر وعدم نفعه لصاحبه :**

يضرب الله الأمثال للناس لتحصل العبرة والمقارنة بين الحال والمثال ، والمحسوس وغير المحسوس ، والغائب والشاهد ، ولكي يزداد اليقين بالغائب ، وتظهر حقيقة الحق والباطل ، وذلك أن الأمثال سائرة ، والعقول تتلقاها بالقبول ، وأمثال القرآن أكثر معنى وأوجز لفظا من أمثال العرب ، كقوله تعالى : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [i] ، فقد كانت العرب تقول : القتل أنفى للقتل ، ولفظ القرآن أوفى معنى وأوجز لفظا وأحسن سبكا [ii] .

وقد قال تعالى : **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**[iii] ، وضرب المثل في القرآن يكون في صور ، منها ضرب المثل للحق مثل كلمة الحق كقوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** [iv] ، وضرب المثل للمقارنة بين المؤمن والكافر ، كقوله تعالى : **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** [v] .

وأكثر ما تكون أمثال القرآن في أصول الدين كالتوحيد وترك الشرك وعدم الاغترار بالدنيا ، وفي ذلك يقول عبد الرحمن السعدي في تفسيره : أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها.[vi]

وكانت أمثال القرآن تهدف إلى بيان ضعف المنكر- كالشرك - وعدم نفعه لصاحبه ، وله أمثلة كثيرة منها :

---

[i] سورة البقرة : 179

[ii] مفاتيح الغيب للرازي (229/5)،وتفسير ابن كثير (492/1).

[iii] سورة العنكبوت :43

[iv] سورة إبراهيم : 24

[v] سورة هود : 24

[vi] تفسير السعدي (631/1) .

المثال الأول : تمثيل المشرك بمن شارك المملوكين :

قال تعالى : (**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) [vii] .

وفي هذا المثل يبين الله للكفار مثلا من أنفسهم وهو أقرب لعقولهم وأعظم حجة عليهم ، ومفاد المثل أنهم لا يقبلون الشركة مع ما ملكت أيمانهم في الرزق فكيف يجعلون مع الله شركاء من خلقه .

المثال الثاني : تمثيل الكفر ببيت العنكبوت :

قال تعالى : (**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** [viii]) ، ومفاد المثل أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم من دون الله ولن يجدوا من شركائهم جلبا لنفع ولا دفعا لضر ، ومثلهم كمثل العنكبوت في بيتها الذي اتخذته فإنه أضعف البيوت من جميع الوجوه فلا يستر صاحبه ، ولا يحميه من البرد والحر، ولا يدفع عنه عدوا ، ولا يثبت طويلا ، وكل شيء قادر على محو هذا البيت .

المثال الثالث : بيان ضعف الأصنام بعجزها عن خلق الذباب :

قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**[ix]).

ومفاد المثل أن الكفار يعبدون من دون الله أصناما عاجزة ، ومن عجزها أنها لا تقدر على خلق أحقر الحشرات كالذباب ، ولو اجتمع الشركاء على ذلك ، بل هناك ما هو أعظم من ذلك ، وهو : أن هؤلاء الشركاء عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم ، فلو أخذ الذباب منهم شيئا فلن يقدروا على رده ، فعاد الأمر على أن هؤلاء الشركاء لا ينفعون أنفسهم ولا غيرهم ، ولا يدفعون الضر عن أنفسهم ولا غيرهم .

المثال الرابع : تمثيل الكفر بالريح :

قال تعالى : (**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) [x] . ومفاد

[vii] سورة الروم : 28

[viii] سورة العنكبوت :43

[ix] سورة الحج : 73

المثل أن نفقات الكفار لا تعود عليهم بالنفع لكفرهم وعدم ايمانهم ، ومثل ذلك كمثل حرث قوم أصابته ريح فيها صر وبرد فأهلكته ، وكذلك الكفر يحبط العمل .

المثال الخامس : تمثيل الغيبة بأكل الميتة :

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)** [xi] .

المثال السابع : ضرب المثل لمن أحرق حسناته :

قال تعالى : **(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)**[xii] ، وقد شرح هذا المثل عمر بن الخطاب وأقره جمع من الصحابة : ففي البخاري عن عبيد بن عمير ، قال: قال عمر رضي الله عنه، يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: **فيم ترون هذه الآية نزلت(أيود أحدكم أن تكون له جنة) قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله .**[xiii]

2- **بيان نقيض غرض صاحب المنكر :**

وذلك أن غرض صاحب المنكر من فعله جلب النفع أو دفع الضر ، وهذا غير حاصل من فعل المنكر ، ولذلك أمثلة :

منها : موالاة الكفار لكسب مودتهم :

يبين الله أن موالاة الكفار لا تعود على صاحبها بالنفع أو دفع الضر ، وذلك أن الكفار لو تمكنوا من المسلمين الذين والوهم لأظهروا العداوة وبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء ، ولا يرضى الكفار إلا بمتابعتهم على دينهم ، كما قال تعالى (**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ**

[x] سورة آل عمران : 117 .
[xi] سورة الحجرات : 12
[xii] سورة البقرة : 266
[xiii] رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب، رقم الحديث 4538 .

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [xiv] . ولذلك قال الله تعالى في قصة حاطب بن بلتعة[xv] حين أرسل كتابا لكفار مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم :(**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)** [xvi] ، ومن ذلك ضرب المثل لعبادة الكفار ببيت العنكبوت والذباب ، وقد تقدم ذكر ذلك قريبا .

ومن ذلك قوله تعالى :(**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)**[xvii] ، فقد اختار ابن زيد والربيع بن أنس أن الرهق هو الخوف [xviii] ، وذلك نقيض قصد المشركين لأنهم استعاذوا بالجن طلبا للأمن فعادت استعاذتهم خوفا .

ومن ذلك أن الأنبياء في حديثهم مع أقوامهم كانوا يبينون لهم عدم جدوى الأصنام ، وأنها لا تعود على عابديها بجلب نفع أو دفع ضر ، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن أصنام قومه :

(قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ).[xix]

3- وصفه بأنه خطأ كبير :(**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)** [xx] ، قال الفراء : وكأن الخطأ الإثم[xxi] ، وقال الطبري : ويحكى عن العرب: خطئت: إذا أذنبت عمدا، وأخطأت: إذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له [xxii] ، ووصف المنكر بالكبير للتحذير منه ، وليفرق العبد بين المنكر الكبير والصغير ، فيعطي كل ذنب حقه من الحذر ، فليست الكبائر كالصغائر ، وكما أن الحسنات فيها الكبار والصغار كالتوحيد وإماطة الأذى عن الطريق ، فكذلك الذنوب فيها ذلك ، وقد قال تعالى :(**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)**[xxiii]، ويرى الطبري [xxiv]أن

[xiv] سورة البقرة : 120

[xv] روى القصة البخاري في صحيحه . كتاب التفسير . باب لا تخذوا عدوي وعدوكم . رقم الحديث 4890 ، ورواه مسلم في صحيحه .كتاب الفضائل . باب فضائل حاطب بن بلتعة . رقم الحديث 2464 .

[xvi] سورة الممتحنة : 2

[xvii] سورة الجن : 6

[xviii] (654/23).

[xix] سورة الشعراء :72،73 .

[xx] سورة الإسراء:31 .

[xxi] معاني القرآن للفراء (123/2) .

[xxii] تفسير الطبري(437/17) ، وانظر تفسير القرطبي(252/10).

[xxiii] سورة النجم : 32 .

هذه الآية نظير قوله تعالى :(**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**)[xxv].

ومن وصف المنكر بالكبير قوله تعالى :(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**)[xxvi] ، وقوله :(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**) [xxvii] ، وقوله(**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**) [xxviii]، وقوله :(**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**)[xxix] ، ونجد هذه الآيات الأربع تصف القتل في الأشهر الحرم والخمر والميسر وموالاة الكفار وأكل مال اليتيم كل ذلك من المنكر الكبير ليتقيها العبد ، ويحذر منها أشد من غيرها .

4- **وصف المنكر بأنه فسق :** أي أنه خروج عن الطاعة ، وأصل الفسق من قولهم فسقت الرطبة أي خرجت ، ومنه سميت الفأرة بالفويسقة لخروجها ، وتسمية بعض المنكرات بالفسق لعظيم منافرتها للإيمان وخروج صاحبها عن صفة الطاعة والبر ، وقد وردت ثلاثة آيات في هذا المقام وكلها في باب الأطعمة ، ووجه ذلك أن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه مشابهة كبيرة للمشركين في طعامهم ، فإنهم كانوا يذكرون أسماء أصنامهم على ذبائحهم ، ويذبحون لأصنامهم ، ومشابهتهم في ذلك لون من ألوان الشرك ، ولذلك قال تعالى : (**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**)[xxx]، فوصف طاعة الكفار في أكل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه شركا ، والمقصود به الطعام الذي ذبح للأصنام أو ذكر اسم الصنم عليه ، أما متروك التسمية سهوا مما ذبحه المسلمون فلا يدخل في ذلك عند جمهور الفقهاء[xxxi]، وهذا ما ذهب إليه جماعة من المفسرين[xxxii]، ومن ذلك قوله تعالى :(**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ**

[xxiv] تفسير الطبري(538/22) .
[xxv] سورة النساء : 31 .
[xxvi] سورة البقرة : 217 .
[xxvii] سورة البقرة : 219 .
[xxviii] سورة الأنفال : 73 .
[xxix] سورة النساء : 2 .
[xxx] سورة الأنعام : 121 .
[xxxi] انظر : بدائع الصنائع للحنفية (47/5)،والمجموع للنووي(412/8)،والمغني لابن قدامة (367/9)وإرشاد السالك في فقه مالك(55/1).
[xxxii] تفسير الطبري(76/12) ، وتفسير القرطبي (77/7).

وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [xxxiii] ، وقوله : **(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [xxxiv] .

وتأتي آيات تصف فاعل بعض المنكرات بأنه من الفاسقين ، كقوله : (**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**) [xxxv] والمقصود بهم قوم موسى حين تخلفوا عن دخول الأرض المقدسة فضربهم الله بالتيه أربعين سنة ، وفي ذلك يقول الطبري : فقضاء الله جل ثناؤه بينه وبينهم أن سماهم فاسقين وعنى بقوله الفاسقين الخارجين عن الإيمان بالله وبه إلى الكفر بالله وبه[xxxvi] ، وقوله : (**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**) [xxxvii] ، والمقصود بالفاسقين هنا الذين يحلفون على الكذب كما قال ابن زيد [xxxviii] ، وقوله : **(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)** [xxxix] وختم الآية بنفي هداية الله للفاسقين للدلالة على أن من أحب هذه الثمانية وترك وفضلها على الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من الفاسقين ، وقد قال الطاهر بن عاشور في ذلك : "وجملة والله لا يهدي القوم الفاسقين تذييل، والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقق أنهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين فحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنهم من الفاسقين"[xl]. وقوله : **(اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)** [xli] ، والمقصود بالفاسقين هنا من تركوا الإيمان بالله من المنافقين ، قال الطبري

[xxxiii] سورة المائدة : 3.
[xxxiv] سورة الأنعام : 24 .
[xxxv] سورة المائدة : 25 .
[xxxvi] تفسير الطبري(189/10) .
[xxxvii] سورة المائدة : 108 .
[xxxviii] تفسير الطبري(206/11) .
[xxxix] سورة التوبة : 24 .
[xl] تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (154/10) .
[xli] سورة التوبة : 80 .

في تفسيره عند هذه الآية : "والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته، على الإيمان به وبرسوله" [xlii]، وقوله : **(مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)** [xliii] والمقصود بهم هنا يهود بني النضير [xliv] .

5- **وصفه بأنه محرم** : وقد كانت الآيات المبينة لتحريم بعض المنكرات محدودة ، كقوله تعالى : **(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [xlv]، وقوله: **(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [xlvi] ، وقوله : **(الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** [xlvii] ، وقوله تعالى : **(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** [xlviii] وقوله :**(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)** [xlix]، وتحريم الشيء أي منعه ، ونجد أن المنكرات المخصوصة بنص التحريم من الكبائر الموبقات كالشرك والقتل والزنا وأكل مال اليتيم ، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**" [l] .

[xlii] تفسير الطبري(395/14) .
[xliii] سورة الحشر : 5 .
[xliv] تفسير الطبري(263/23).
[xlv] سورة البقرة : 173 .
[xlvi] سورة الأنعام : 152
[xlvii] سورة النور : 3
[xlviii] سورة الأعراف : 33 .
[xlix] سورة الإسراء : 33 .
[l] رواه البخاري في صحيحه .كتاب الحدود . باب رمي المحصنات . رقم الحديث 6857 ، ورواه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان . باب بيان الكبائر وأكبرها . رقم الحديث 145 .

6- **وصفه بأنه مكروه** : والأصل في معنى الكراهية البغض عدم الرضى ، وقد جاءت آيات الإسراء تبين ما كرهه الله من المحرمات ، وهي قوله تعالى : (**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)** [li] ، والمكروه هنا: هو المنهي عنه غير المرضي عنه [lii] ، وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره : وفيه تعريض بأن فاعله مكروه عند الله [liii].

7- **وصفه بأنه رجس** : ومعناه الإثم [liv] ، قال الله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [lv]، وقوله (**رجس من عمل الشيطان**) ، للدلالة على رجسيته المعنوية ، فكما أن الرجس يكون حسيا فكذلك يكون معنويا ، وفي ذلك يقول القرطبي : " قال ابن عباس في هذه الآية: (رجس) سخط . وقد يقال للنتن والعذرة والأقذار رجس والرجز بالزاي العذاب لا غير، والركس العذرة لا غير، والرجس يقال للأمرين"[lvi] ، ونحو ذلك قوله : **(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[lvii] .

8- **وصفه بالمنكر** : قال تعالى : (**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**)[lviii] ، ووصف الظهار بأنه منكر لتقبيحه وتنفير الناس عنه ، لمخالفته الشرع والواقع ، ولذلك قال تعالى : (**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ**

[li] سورة الإسراء : 33-38 .
[lii] تفسير الطبري(451/17) وتفسير القرطبي (262/10) .
[liii] تفسير التحرير والتنوير (105/15) .
[liv] تفسير الطبري(564/10) .
[lv] سورة المائدة : 90 .
[lvi] تفسير القرطبي (287/6) .
[lvii] سورة الأنعام : 145 .
[lviii] سورة المجادلة : 2 .

أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ)[lix] وقوله : **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**[lx] ، وقد اختار جمهور المفسرين أن المنكر في الآية هو فعل اللواط في المجالس [lxi] ، وإن كان بعض المفسرين كالطبري قد اختار رأيا آخر، وهو ايذاء الناس في الطريق برميهم والسخرية بهم ، محتجا بحديث ورد في ذلك [lxii].

9- وصف بعض المنكرات بالإثم والباطل :قال تعالى :(**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** [lxiii] ، ومعنى أكل أموال الناس بالباطل أي بغير وجه حق ، وهذا ما تدل عليه كلمة الباطل ، فهي كلمة عامة تشمل جميع الصور المحرمة في أكل أموال الناس بغير حق كالربا والرشوة والميسر والغش والتدليس ونحو ذلك [lxiv]، وقد جمع ذلك الطبري معاني ذلك فقال في الأكل بالباطل : وأكله بالباطل أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لآكليه [lxv].

10- **وصف بعض المنكرات بالفاحشة** : قال تعالى :(**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**)[lxvi] ، وقال تعالى : (**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا** [lxvii] ، وقال سبحانه :(**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ))** [lxviii] ، ونلاحظ أن وصف الفاحشة اختص بالمنكرات المتعلقة بالفرج كالزنا واللواط ونكاح أم الأب ، وسبب تسميتها بالفاحشة لأنها مستقبحة عند الطباع السليمة ، وفي ذلك يقول الطبري :" ومعنى "الفاحشة"، الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه ، وأصل "الفحش": القبح، والخروج عن الحد والمقدار في كل شيء ، ومنه قيل للطويل المفرط الطول : "إنه لفاحش الطول" ، يراد به : قبيح الطول ، خارج عن المقدار المستحسن ، ومنه

[lix] سورة المجادلة : 2

[lx] سورة العنكبوت : 29 .

[lxi] تفسير الطبري(29/20).

[lxii] الحديث ضعيف لضعف رواته فإن فيه سماك بن حرب وقد ضعف أفراده جماعة من المحدثين، انظر تهذيب الكمال (115/12) ، وفيه باذان أبو صالح وقد ضعفه الجمهور .انظر تهذيب الكمال للمزي (7/4) .

[lxiii] سورة البقرة : 188 .

[lxiv] تفسير القرطبي (338/2) .

[lxv] تفسير الطبري(549/3) .

[lxvi] سورة الإسراء : 32 .

[lxvii] سورة النساء : 22 .

[lxviii] سورة الأعراف : 80-81 .

قيل للكلام القبيح غير القصد : "كلام فاحش" ، وقيل للمتكلم به : "أفحش في كلامه" ، إذا نطق بفحش "[lxix]، ولكي تنفر منها العقول قبل الجوارح .

المطلب الثاني : عيب صاحب المنكر :

تتفاوت النفوس في قبول التحذير من فعل المنكر ، فمنها من ينفر من قبح المنكر ، ومنها من ينفر من قبح فاعل المنكر ، ومنها من ينفر من عقوبة فاعل المنكر ، فالأولان مريضان بمرض الجهل وعلاجه العلم ، والثالث مريض بمرض الظلم وعلاجه بالعدل ، فالعلم يكشف الطريق للجاهل ، والعقوبة تمنع الظالم من مخالفة الطريق ، وذلك أن من النفوس من تشبه المغضوب عليهم من اليهود ممن علموا الحق فتركوه ، ومنها من تشبه الضالين من النصارى ممن جهلوا الحق فضلوا عن سواء السبيل ، والصراط المستقيم قائم على مخالفة المغضوب عليهم والضالين ، وقد قال سفيان بن عيينة : " كانوا يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى "[lxx].

وكانت طريقة القرآن في التحذير من المنكرات متصرفة بحسب تصرف النفوس ، ولما كانت بعض النفوس تنفر من عيبها ، ووصفها بالصفات السيئة جاءت الآيات تبين وصف فاعل المنكر ، وعيبه ، ورميه بأشنع النعوت ، لكيلا يفعل المنكر ، وحتى ينفر الناس من مشابهته ، وكانت صفات أهل المنكر كثيرة ، وهذا سردها كما في القرآن :

1- **مشابهة صاحب المنكر للكفار :**

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[lxxi] ، وقال سبحانه : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**[lxxii] ، وتشبيه العبد بالكفار تعني موافقتهم في شيء من خصائصهم ، ومن تشبه بقوم فهو منهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [lxxiii] ، وحين يوصف فاعل المنكر بأنه قد شابه الكفار فإن ذلك مدعاة للمسلم للحذر من المنكر ، ومجانبته ، والفرار منه .

[lxix] تفسير الطبري(218/7) .
[lxx] مجموع الفتاوى لابن تيمية(13،100).
[lxxi] سورة المائدة : 51 .
[lxxii] سورة التوبة : 23 .
[lxxiii] رواه أبو داود في سننه من حديث ابن عمر .كتاب اللباس . باب في لبس الشهرة . رقم الحديث 4031 .

2- **بيان ظلم صاحبه** : قال تعالى : **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** [lxxiv] ، ونجد في الآية عدة طرق للتحذير من المنكر، فوصفه أولا بالظلم ثم توعده بالخزي في الدنيا ، والخوف والعذاب في الآخرة ، ومن ذلك قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** [lxxv] ، ويدخل في ذلك إذا ختمت الآية بعقوبة الظالمين أو ترك هدايتهم أو وصف تارك أمر الله بأنه من الظالمين كقوله تعالى : **(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)** [lxxvi] ، واتباع أهواء أهل الكتاب في أصل دينهم ظلم أكبر ، واتباع أهوائهم في سائر خصائصهم مما لا ينفع العبد من الظلم الأصغر ، وقد يكون كبيرة أو صغيرة أو مكروها ، كموافقتهم في أعيادهم أو ثيابهم ونحو ذلك .

ومن ذلك قوله تعالى : **(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [lxxvii] ، وهذه الآية في المرتدين ، ولا أظلم من المرتد إلا إذا حسنت توبته ، وهذا قول ابن عباس واختاره الطبري لكثرة القائلين به [lxxviii] .

ومن ذلك قوله : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [lxxix] ، وقد دلت الآية على أن موالاة اليهود والنصارى من الظلم العظيم ، وذلك أن الله لم يقل : ومن يتولهم منكم فإن الله لا يهديه ، بل ختم الآية بما يفيد صلاحيتها لمن فعل فِعْل هؤلاء ومن شابههم ، وهذا ما يسمى بالإظهار في موضع الإضمار [lxxx] .

[lxxiv] سورة البقرة : 114 .
[lxxv] سورة الحجرات : 11 .
[lxxvi] سورة البقرة : 145 .
[lxxvii] سورة آل عمران : 86 .
[lxxviii] تفسير الطبري(575/6) .
[lxxix] سورة المائدة : 51 .
[lxxx] انظر الإيضاح في علوم البلاغة (81/2) .

ومن ذلك قوله تعالى في بيان أن الاعتداء في الشهادة ظلم :(**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**)[lxxxi] .

وقوله في ظلم طرد المؤمنين من المجالس :(**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**)[lxxxii] .

ومن الظلم ترك الإذن من الله كقوله : (**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**)[lxxxiii] .

ومن الظلم اتباع الهوى كقوله : (**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[lxxxiv] .

ومن الظلم الافتراء على الله بالكذب كقوله :(**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[lxxxv] .

3- **خسارة فاعل المنكر** : وقد جاء وصف الخسارة في القرآن على أربع صور : **الصورة الأولى** : التصريح بخسارة فاعل المنكر ، وهذا في أكثر المواضع ، وكان وصف الخسارة يتوجه ليعض المنكرات ، كنقض الميثاق مع الله وقطع ما أمر الله بوصله والفساد بالأرض ، كقوله تعالى : (**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)[lxxxvi] ، والأمن من مكر الله كقوله : (**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**)[lxxxvii] ، والاستمتاع بالباطل ، والخوض فيما خاض فيه اهل الباطل كقوله :(**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي**

[lxxxi] سورة المائدة : 107 .
[lxxxii] سورة الأنعام : 52 .
[lxxxiii] سورة الأنبياء : 87 .
[lxxxiv] سورة هود : 50 .
[lxxxv] سورة الصف : 7
[lxxxvi] سورة البقرة : 27 .
[lxxxvii] سورة الأعراف : 99 .

خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[lxxxviii] ، والالتهاء بالأموال والأولاد عن الذكر الواجب كقوله :**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**[lxxxix] ، ومن ذلك قتل الأولاد ، وتحريم ما أحل الله كقوله :**(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)**[xc] ، ومن ذلك من يعبد الله على حرف وطرف ، فإن أصابته فتنة انقلب على وجهه كقوله :**(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)**[xci] .

والصورة الثانية : أن يوصف فاعل المنكر بأنه قد خسر نفسه ، كقوله : **(وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ)**[xcii] ، ومن خسر أهله ونفسه يوم القيامة كقوله : **(قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)**[xciii] .

والصورة الثالثة : أن تأتي الآيات ببيان عدم ربحه ، كقوله : **(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)**[xciv] .

والصورة الرابعة أن تأتي الآيات ببيان اشترائه شيئا لا قيمة له ، كقوله : **(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)**[xcv] .

4- **فساد صاحبه** : والفساد يأتي في القرآن وصفا للمنكرات الظاهرة العامة التي تضر الناس ، كقوله تعالى **(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ)**[xcvi] ، وقوله : **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**[xcvii] ، وقد جاء

[lxxxviii] سورة التوبة : 69 .
[lxxxix] سورة المنافقون : 9 .
[xc] سورة الأنعام : 140 .
[xci] سورة الحج : 11 .
[xcii] سورة الأعراف : 9 .
[xciii] سورة الزمر : 14-15 .
[xciv] سورة البقرة : 16 .
[xcv] سورة البقرة : 86 .
[xcvi] سورة البقرة : 205 .
[xcvii] سورة الروم : 41 .

وصف المنافقين بالمفسدين في موضع واحد وهو قوله تعالى :(**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)** [xcviii] ، والفساد ضد الصلاح ، وأي فساد أعظم من المنافقين .

5- **ضلاله** : وأكثر ما ورد الضلال في القرآن في الكفر والشرك ، وقل أن ينصرف إلى غيره ، وروده في المنكرات لمشابهتها لأفعال الكفار ، كموالاة الكفار ، وقسوة القلب ، والقنوط من رحمة الله ، كقوله :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)** [xcix] ، وقوله : **(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** [c] ، وقوله : **(قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)** [ci] .

6- **مرض صاحبه** : وقد جاء وصف فاعل المنكر بالمرض على أمرين : على النفاق ، وهذا في أكثر المواضع ، كقوله :**(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)** [cii] ، وعلى مرض المعاصي ، ولذلك يجري العطف في القرآن بين المنافقين ومن في قلوبهم مرض ، كقوله :**(إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [ciii] ، وقوله :**(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)** [civ] ، وقوله : **(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)** [cv] ، وجاء في مواضع وصف فاعل المنكر بالمرض ليشمل المنافقين وأهل المعاصي ، كقوله : **(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ**

[xcviii] سورة البقرة : 12 .

[xcix] سورة الممتحنة : 1 .

[c] سورة الزمر : 22 .

[ci] سورة الحجر : 56 .

[cii] سورة البقرة : 8-10 .

[ciii] سورة الأنفال : 49 .

[civ] سورة الأحزاب : 12 .

[cv] سورة الأحزاب : 60 .

كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا)[cvi] ، وقوله : (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)[cvii] .

7- **وصفه بالسفه على سبيل الإنكار**: كقوله : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ[cviii] ، وأما قوله : (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)[cix] ، فليست من هذا الباب ؛ لأن السفهاء هنا هم النساء والصبيان ومن شابههم في ضعف التصرف، ولأن النهي خرج على سبيل رعاية الأموال وحفظها من النساء والصبيان على قول جمهور المفسرين [cx].

8- تشبيه صاحب المنكر بالحيوانات بالأنعام والحمار والكلب :

كرم الله الإنسان ، وفضله على كثير مما خلق ، كما قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[cxi]، وقد أجاد الطبري في بيان صفة تفضيل بني آدم على غيرهم ، فقال :" بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم "[cxii]، وهذا التفضيل يقتضي عبادة الله وحده لا شريك له ، وتسخير نعم الله في مرضاته ، أما إذا استكبر العبد عن ربه ، وكفر بنعمة الله ، فإن الأنعام أحسن حالا منه ، لقوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[cxiii] ، وقد يهبط العبد عن منزلته التي كرمه الله فيها حتى يكون مثل الحمار ، وهذا مثل من يحمل كلام الله كالتوراة ويخالفه ، وقد قال تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[cxiv] ، وأقبح من الحمار الكلب الذي يلهث لشدة حرصه ، فهو دائم الوقت على هذه الحال ، وهذا مثل من انسلخ عن الحق بعد معرفته ، فلا ينفع معه نصح ولا عقوبة ، كقوله تعالى :(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا

[cvi] سورة الأحزاب : 32 .

[cvii] سورة الحج : 53 .

[cviii] سورة البقرة : 13 .

[cix] سورة النساء : 5 .

[cx] انظر : تفسير الطبري (560/7)، وتفسير القرطبي (27/5) .

[cxi] سورة الإسراء : 70 .

[cxii] تفسير الطبري(501/17) .

[cxiii] سورة الأعراف : 179 .

[cxiv] سورة الجمعة : 5 .

فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177))[cxv] ، ومثل الحمار مثل العالم الجاهل الذي يصد الناس بجهله ، ومثل الكلب مثل العالم الفاجر الذي يصد الناس بظلمه .

19- وصف فاعله بأن الله قد غضب عليه :

ومن غضب الله عليه ، فقد أحاطت به المصائب ، واجتمع عليه الهم والغم ، ورحلت عنه البركة ، ونزلت به النقمة ، وما ابتلي أحد بمثل بلائه إلا أن يكفر بالله ، وقد وسم الله من يفعل بعض المنكرات ، أو يترك بعض الواجبات بأن الله قد غضب عليه ، كقوله : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16))**[cxvi]، ومن ذلك قوله : **(فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86))**[cxvii] ، وقد عبدوا العجل فقال لهم موسى ما قال ، ومن ذلك قوله :**(وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16))**[cxviii]، ومن جادل بالباطل ليدحض الحق فقد غضب الله عليه ، ومن ذلك قوله :**(وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9)**[cxix] ، وذلك لأن خيانة الزوج في فراشه مستوجبة لفساد الأسرة ، فاستحقت الزوجة الزانية الغضب .

21- لعن صاحبه :

واللعن طرد من رحمة الله ، ومن طرد من رحمة الله استحق دخول النار ، وقد ورد غضب الله على بعض المنكرات ، مثل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كقوله :

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79))[cxx] ، ومن المنكرات التعدي على المؤمنين بغير حق وايذائهم ، كقوله : **(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ**

[cxv] سورة الأعراف : 175-177 .

[cxvi] سورة الأنفال : 15-16 .

[cxvii] سورة طه : 86 .

[cxviii] سورة الشورى : 16 .

[cxix] سورة النور : 9 .

[cxx] سورة المائدة : 78-79 .

وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (58))[cxxi]، ومن ذلك قذف المحصنات المؤمنات ، كقوله : (**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23))**[cxxii] .

ومن ذلك كتم الحق عن أهله المستحقين لمعرفته ، كقوله :**(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159))**[cxxiii] .

25 – وصف فاعله بأنه لا يعقل : وأعظم العقل ما دلك على خالقك ، والعقل يعقل صاحبه عن فعل القبيح ، ولا أقبح من المنكرات ، فإذا رتع الإنسان في المنكرات فقد نقص عقله بقدر منكراته ، ومن المنكرات ترك الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله : (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4))**[cxxiv] ، ومن ذلك السخرية من نداء الصلاة والاستهزاء به ، كقوله :**(وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58))**[cxxv] ، ومن ذلك أمر الناس بالحق الواجب ونسيان النفس ، كقوله :**(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44))**[cxxvi].

29- نسبة فعل المنكر للكفار على سبيل الذم :

والقرآن يسند المنكر للكفار لينفر العبد المسلم منه ، ويعلم بأن فعل المنكر لا يصدر إلا كافر ، أو مشابهه ، والسخرية من المؤمنين لا تصدر إلا من الكفار أو من شابههم ، كقوله :**(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32))**[cxxvii] ، والكافر لا يصلي ولا يتصدق ، كقوله :**" فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33)"** [cxxviii]، والكافر لا يحسن علاقته مع ربه ، ولذلك لا يصلي ، ولا يحسن علاقته مع الناس ، ولذلك لا يطعم المسكين ، وهذا ما قاله الله تعالى :**(مَا**

[cxxi] سورة الأحزاب : 57-58 .

[cxxii] سورة النور : 23 .

[cxxiii] سورة البقرة : 159 .

[cxxiv] سورة الحجرات : 4

[cxxv] سورة المائدة : 58 .

[cxxvi] سورة البقرة : 44 .

[cxxvii] سورة المطففين : 29-32 .

[cxxviii] سورة القيامة : 31-33 .

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46))[cxxix] .

ويدخل في ذلك نسبة الفعل للكفار من بني إسرائيل على سبيل الذم : كقوله :(وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42))[cxxx] ، وقوله :(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44))[cxxxi] ، وقوله :(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74))[cxxxii]، وقوله تعالى :(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80))[cxxxiii] ، وقوله :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84))[cxxxiv] .

وقوله تعالى : (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101))[cxxxv]، وقوله تعالى :(لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63))[cxxxvi].

وقوله :(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[cxxxvii]، وقوله تعالى :(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99))[cxxxviii] ، وقوله تعالى :(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

[cxxix] سورة المدثر : 42-46 .
[cxxx] سورة البقرة : 42 .
[cxxxi] سورة البقرة : 44 .
[cxxxii] سورة البقرة : 74 .
[cxxxiii] سورة البقرة : 79-80 .
[cxxxiv] سورة البقرة : 84 .
[cxxxv] سورة البقرة : 100-101 .
[cxxxvi] سورة المائدة : 64 .
[cxxxvii] سورة الأعراف : 85 .
[cxxxviii] سورة الأعراف : 99 .

وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146))[cxxxix].

وقوله تعالى :(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77))[cxl] ، وقوله تعالى :(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79))[cxli].

وقوله تعالى :(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104))[cxlii].

وقوله تعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109))[cxliii] ، وقوله تعالى : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142))[cxliv]

.

وقوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22))[cxlv].

وقوله تعالى :(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66))[cxlvi] ، وقوله تعالى : (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ

[cxxxix] سورة الأعراف : 146 .

[cxl] سورة المائدة : 77 .

[cxli] سورة المائدة : 79 .

[cxlii] سورة البقرة : 102-104 .

[cxliii] سورة البقرة : 109 .

[cxliv] سورة البقرة : 142 .

[cxlv] سورة آل عمران : 21-22 .

بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78))[cxlvii].

وقوله :(إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78))[cxlviii]، وقوله تعالى :(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188))[cxlix]، وقوله تعالى :(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18)) [cl].

وقوله تعالى :(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (18))[cli].

30- نفي الإيمان عن صاحبه :

ونفي الإيمان أي نفي حقيقته ، وهو نفي الإيمان الواجب الذي أمر الله به ، وليس في القرآن نفي كمال الإيمان ، ولذلك يأتي نفي الإيمان عن تارك القضايا الكلية ، كقوله :(أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100))[clii] ، وقوله : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65))[cliii].

ويتبع ذلك تعليق الإيمان على تركه ، وكأن الله يقول للناس : إن كنتم مؤمنين فاتركوا كذا : كقوله :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91))[cliv]،

[cxlvi] سورة آل عمران : 66 .
[cxlvii] سورة آل عمران : 78 .
[cxlviii] سورة القصص : 78 .
[cxlix] سورة آل عمران : 188 .
[cl] سورة لقمان : 18 .
[cli] سورة الأحقاف : 17-18 .
[clii] سورة البقرة : 100 .
[cliii] سورة النساء : 65 .
[cliv] سورة البقرة : 91 .

وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278)) [clv]، وقوله : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175))[clvi] ، وقوله :(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120))[clvii] ، أي ما كان لأهل الإيمان ويمتنع أشد الامتناع أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويدخل في ذلك أيضا أن يوصف فاعل المنكر بأنه لا يؤمن بالله ، أو لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، كقوله : (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)) [clviii] ، وقوله :(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105))[clix] .

ويدخل في ذلك وصف المؤمن بتركه للمنكر : كقوله : (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44))[clx] .

31- بيان شؤم المنكر على صاحبه بجره لمنكر آخر :

الحسنات والسيئات كالبذور التي تنبت بالأرض ، ولكل بذرة نصيبها من الثمار ، وقد ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، فقال :(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26))[clxi].

والبذرة الطيبة كالحسنة تنبت حسنات كثيرة ، والبذرة الخبيثة كالسيئة تنبت سيئات كثيرة ، ولذلك يتدرج الشيطان مع الناس ، ليسهل عليهم الباطل شيئا فشيئا ، وقد أورد ابن القيم في كتابه الجواب الكافي كلاما جيدا عن هذا الأمر، فقال : " وفي الحلية لأبي نعيم عن حذيفة

[clv] سورة البقرة : 278 .

[clvi] سورة آل عمران : 175 .

[clvii] سورة التوبة : 120 .

[clviii] سورة المائدة : 81 .

[clix] سورة المائدة : 105 .

[clx] سورة التوبة : 44 .

[clxi] سورة إبراهيم : 24-26 .

أنه قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه.

ومن هاهنا قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن القبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت[clxii]".

والمقصود أن المعاصي تبحث عن أخواتها ، وليس بعد الكفر ذنب ، وإذا كذب الإنسان بيوم الدين ، فإنه يدع اليتيم ويدفعه ويظلمه ، ويحذر الناس من الصدقة ، ويسهى عن الصلاة ، ويرائي الناس ، ويمنعون حقوق الناس .

وهذا التسلسل لتنفير الناس من التكذيب بيوم القيامة ، ولذلك جاءت الصفات التي تكرهها العرب ، من ظلم اليتيم ، والمسكين ونحوهما ، يقول الله تعالى :(**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)**)) [clxiii].

المبحث الثاني : عقوبة المنكرات :

كان منهج القرآن قائما على الإعذار والإنذار قبل انزال العقوبة ، وهذا مقتضى رحمة الله وعدله ،

وفي ذلك يقول الله تعالى :(**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)**)[clxiv] ، فالآيات تبين أمر الله ونهيه ، وتبين قبح المنكرات وعيبها ، وكانت تهدد تهديدا عاما ليتعظ المؤمن ، وينزجر المنافق والكافر ، وهذا التهديد كان يجري بطرق ، وهو على النحو الآتي :

1- أن يكون التهديد بأمر الناس بشيء أو نهيهم عن شيء ثم تبين الآيات ملك الله أو قدرته أو علمه أو ذكر سمع الله للكفار أو بصره بهم ، كقوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**)[clxv] .

ووجه التهديد : تخويف صاحب المنكر بأن الملك كله لله ، وهو قادر على سلبه ومنحه من يشاء ، وهذا كقوله تعالى : (**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**

[clxii] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (50/1) .

[clxiii] سورة الماعون : 1-7 .

[clxiv] سورة النساء : 165 .

[clxv] سورة النساء : 170 .

(132) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133))[clxvi] ، ووجه التهديد أن الله يهدد الذين كفروا به بأن له ما في السموات وما في الأرض ، وهو الغني عنهم ، ولو شاء لأهلكهم وأذهبهم كما أهلك من الذين من قبلهم ، ومن ذلك قوله :(فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34))[clxvii] ، وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94))[clxviii] وقوله تعالى : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231))[clxix] ، ووجه التهديد أن الله نهى عن اتخاذ آيات الله وأحكامه هزوا وأن يتذكر الخلق نعمة الله عليهم كالزواج ونحوه ، وما أنزل عليهم من القرآن والسنة ، وأن يتقوا الله ويعلموا بأنه بكل أحوالهم عليم فلا يعصوه .

2- ومن التهديد أن يدعو الله الفاسقين لينتظروا عقوبة الله ويتربصوا أمره ، فإنه نازل لا محالة بمن ظلم ، وهذا كقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24))[clxx] ، وقوله سبحانه : (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123))[clxxi] ، وقوله :(لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[clxxii]، وقوله :(وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا

[clxvi] سورة النساء : 131-133 .

[clxvii] سورة النساء : 34 .

[clxviii] سورة النساء : 94 .

[clxix] سورة البقرة : 231 .

[clxx] سورة التوبة : 24 .

[clxxi] سورة هود : 121-123 .

[clxxii] النحل : 55 .

عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122))[clxxiii] ، وقوله : (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179))[clxxiv] .

3- ومن التهديد تخويف الخلق من عذاب الله في الدنيا والآخرة ولقائه ، كقوله تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25))[clxxv] ، ووجه التهديد : أن الله سبحانه يخوف عباده فتنة ومحنة عظيمة عامة ، ولذلك جاءت الفتنة بالتنكير للدلالة على التعظيم ، وسبب التهديد أن الله أمرهم قبل هذه الآية بطاعته والاستجابة لأمره ، ثم خوفهم من ترك ذلك ، وكأن الله يقول لهم : إن لم تستجيبوا لي فخافوا فتنة ومحنة عظيمة ستنزل بكم دون تفريق بين الناس ، بل ستشمل المحسن والمسيء ، وقد قال الطاهر بن عاشور كلاما عظيما في تفسير هذه الآية لم أجد من سبقه إلى ترتيبه ، وحسن ذكره لتناسب الآيات :" عقب تحريض جميعهم على الاستجابة، المستلزم تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنهم قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم إذا هم لم يقوموا عوج قومهم، كيلا يحسبوا أن امتثالهم كاف إذا عصى دهماؤهم، فحذرهم فتنة تلحقهم فتعم الظالم وغيره ، فإن المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام دب بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة ، وحاصل معنى الفتنة يرجع إلى اضطراب الآراء، واختلال السير، وحلول الخوف والحذر في نفوس الناس "[clxxvi]، ومن ذلك قوله تعالى :(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223))[clxxvii] ، ووجه التهديد : أن الله أمر المؤمنين بتقواه والخوف منه ، وأخبرهم بأنهم ملاقوا ربهم ، ليحذروه ، ولا يقصروا في تقواه .

7- ومن ذلك تهديد الكفار بنصر الله لنبيه والمتقين ، وإهلاك أعدائه ، كقوله : (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40))[clxxviii] ، وقوله :(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (29) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ (30))[clxxix] ، وقوله :

[clxxiii] سورة هود : 121-122 .

[clxxiv] سورة الصافات : 179 .

[clxxv] سورة الأنفال : 25 .

[clxxvi] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (316/9) .

[clxxvii] سورة البقرة : 223 .

[clxxviii] سورة مريم : 39 -40 .

[clxxix] سورة سبأ : 29-30 .

(فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (87))[clxxx]، وقوله : (سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)[clxxxi] ، وقوله :(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ)[clxxxii] ، وقوله :(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135))[clxxxiii].

وكان الغرض من تهديد الخلق أن يحذروا عقابه قبل نزوله ، فإن من الخلق من يقبل التحذير ، وأما من لم يقبل ذلك فإن العقوبة الدنيوية بأيدي أهل الحق تردعه .

المطلب الأول : العقوبة الدنيوية :

جعل الله عقابه في الدنيا والآخرة ، لتحصل العبرة ، وتزول عن القلب السكرة ، فإن النفوس إذا رأت المحسوس أيقنت ، واستيقظت ، والمرض يسمع به الخلق فلا يحذره بعضهم ، فإذا نزل ببعضهم حذره الباقون ، وكذلك عقوبة الله فإنها إذا رآها الخلق انتبهوا ، وقد قال الله تعالى في ذلك : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179))[clxxxiv] ، فالقصاص حياة للجاني ، فيعاقب عقوبة تليق بجرمه فلا يتعدى عليه أحد فيقتله ، والقصاص حياة لغير الجاني فتحفظ أرواح الناس من الجناية لأن المجرمين سيخافون القصاص ، فعاد القصاص حياة للجاني والناس فصدق عليه أنه حياة .

ولما كانت العقوبات تأتي حسية ومعنوية جاءت العقوبات الشرعية كذلك ، فالمعنوية تكون بالتشنيع على فاعل المنكر ، ووصفه بأسوأ الصفات ، وقد سبق كل ذلك ، وبقي من العقوبات المعنوية حبوط العمل في الدنيا ، والضعف الذي ينتاب صاحب المنكر ، فأما حبوط العمل فقد ورد في ثلاثة مواضع :

الأول : قوله تعالى :(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5))[clxxxv]، والثاني قوله تعالى : (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217))[clxxxvi]،

[clxxx] سورة الأعراف : 87 .

[clxxxi] سورة الأعراف : 145 .

[clxxxii] سورة محمد : 13 .

[clxxxiii] سورة الأنعام : 135 .

[clxxxiv] سورة البقرة : 179 .

[clxxxv] سورة المائدة : 5 .

[clxxxvi] سورة البقرة : 217 .

والثالث قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2))[clxxxvii] .

وأما الضعف والوهن ففي قوله : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6))[clxxxviii] .

وهاتان العقوبتان المعنويتان تقتسمان جميع المنكرات فما من منكر إلا وقد ضعف صاحبه أو حبط عمله .

وأما العقوبات الحسية فتكون بالقصاص والحدود والكفارة :

وهي على النحو الآتي :

1- عقوبة السرقة بقطع اليد : قال الله تعالى :(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38))[clxxxix] .

2- الجلد مائة للزاني والزانية غير المحصنين : قال تعالى :(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2))[cxc] .

4- الجلد ثمانين لقاذف المحصنات : قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4))[cxci]

5- القصاص : ويشمل القصاص بالنفس وبما دون النفس :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178))[cxcii] .

6- وجوب الكفارة : قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ

[clxxxvii] سورة الحجرات : 2 .

[clxxxviii] سورة الجن : 6 .

[clxxxix] سورة المائدة : 38 .

[cxc] سورة النور : 2 .

[cxci] سورة النور : 4 .

[cxcii] سورة البقرة : 178 .

طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95))[cxciii] .

المطلب الثاني : العقوبة الأخروية :

وهي آخر العقوبات ، وأصحابها إما أن يكونوا من الموحدين أو المشركين ، فأما الموحدون فإنهم يعذبون حتى يطهروا من الذنوب ، وذلك لأن الجنة طيبة لا تدخلها إلا نفس طيبة ، ولأنا أصحاب الجنة مجاورون لربهم ، والطيب لا يرجى إلا بجوار الطيب .

وأما المشركون فإنهم أنفس خبيثة لا تصلح لسكنى الجنة ، ولا يليق بهم إلا لهيب النار ، وذلك لأنهم أحرقوا فطرتهم ، ودينهم في هذه الحياة الدنيا ، ولو دامت حياتهم لدام كفرهم ، فكان مصيرهم الخلود في النار .

وقد بينت الآيات عقوبة أصحاب المنكرات في الآخرة ، على وجه الإجمال والتفصيل ، ووجه الإجمال أن يبين القرآن دخول أهل المنكر من الكفار وغيرهم النار وعذابهم فيها ، والتفصيل أن تأتي الآيات مبينة عقوبة منكر معين ، ومواضع الإجمال كثيرة جدا : منها قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10))[cxciv] ، وقوله :(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8))[cxcv] ، وقوله :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36))[cxcvi] .

وتارة يقرن الله بين عذاب الدنيا والآخرة : كقوله :(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19))[cxcvii] ، وقوله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ

[cxciii] سورة المائدة : 95 .

[cxciv] سورة المائدة : 10 .

[cxcv] سورة المجادلة : 8 .

[cxcvi] سورة المائدة : 36 .

[cxcvii] سورة النور : 19 .

فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ((217))[cxcviii] .

وأما التفصيل ، فنحو أن تأتي الآيات تبين عذاب الآخرة لمنكر منكر معين وهذا كثير في القرآن ، كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10))[cxcix].

وقوله : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175))[cc] .

وقوله :(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24))[cci] .

ومن ذلك أن تبين الآيات حال أصحاب المنكرات يوم القيامة أو قولهم وهم في النار، كقوله :(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28))[cii]، وقوله :(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167))[ciii] .

[cxcviii] سورة البقرة : 217 .

[cxcix] سورة النساء : 10 .

[cc] سورة البقرة : 174-175 .

[cci] سورة النور : 23-24 .

[ccii] سورة الفرقان : 27-28 .

[cciii] سورة البقرة : 166-167 .

الخاتمة

نخلص من هذا البحث إلى النتائج الآتية :

1- التدرج في القرآن قضية ماضية ، مستقرة في الأحكام ، وكذا في التحذير من المنكرات .

2- كان منهج القرآن في التحذير من المنكرات قائما على عيب المنكر وصاحبه ، وعلى عقوبة فاعل المنكر في الدنيا والآخرة .

3- كان عيب فاعل المنكر أكثر من عيب المنكر ، وعيب المنكر أكثر من ذكر عقوبة فاعل المنكر في الدنيا .

4- تعددت وتنوعت صور عيب فاعل المنكر ، وعيب المنكر ، وعقوبة فاعل المنكر في الدنيا والآخرة ، تأكيدا لذلك وتعظيما له ، وتنفيرا عنه .

5- كانت أوصاف فاعل المنكر شاملة لكثير من المنكرات ، لأن المنكرات يجر بعضها بعضا .

6- لكل شيء في القرآن منهج ، فعيب المنكر له منهج ، وعيب فاعل المنكر له منهج ، والعقوبات في القرآن لها منهج ، والتهديد في القرآن له منهج .

7- المنكرات والسيئات والخطايا والذنوب والمعاصي والإثم والفجور مترادفات يشبه بعضها بعضا .

فهرس المراجع

1- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت .

2- إرشاد السالك في فقه مالك ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر

3- بدائع الصنائع ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م .

4- تفسير ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

5- تفسير السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000 م .

6- جامع البيان للطبري تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر.

7- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م.

8- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: 1984 .

9- تهذيب الكمال للمزي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت .

10- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ، دار المعرفة – المغرب ، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م .

11- سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

12- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،الطبعة الأولى، 1422هـ .

13- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

14- المجموع للنووي ، دار الفكر .

15- مجموع الفتاوى لابن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، 1416هـ/1995م .

16- معاني القرآن للفراء ، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي .

17- المغني لابن قدامة ، مكتبة القاهرة .

18- مفاتيح الغيب للرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة - 1420 هـ